

القرآن مع عليّ عليه السلام

حسن الحاجّ

ماذا ينقمون منك؟ وهل ينقمون إلا صدق إيمانك وسابقة ولائك وعظيم منزلتك وجهادك وخصالك ومناقبك الكثيرة؟! إضافةً إلى أحاديث رسول الله التي وردت فيك وأقوالٍ عظيمة تشيد بمكانتك وعلو قدرك... هناك آيات نزلت بحمّك وتفردت بها وأخرى وقد انضمت إليك فيها نفوس طاهرة: سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء وولداك سيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السلام، نأتي على ذكر بعض هذه الآيات بما يتناسب وهذه المقالة المختصرة جدّاً البعيدة عن الإطالة والتفصيل الذي يتطلّب الخوض في هذه الآيات وفي موردها وما أثير حولها من إیرادات وإشكالات والإجابة عنها، التي تكفّلت بها كتب ومصادر مطولة. ومن شبهات، غرضها إبعاد أيّ فضيلة للإمام عليه السلام تحملها آيات كريمة أو روايات شريفة أو مواقف جريئة أو أقوال صادقة، فراحت أقلامهم وأفكارهم تختلق منهجاً آخر في محاربتك فغدوا يحرفون الكلم من بعد مواضعه ويبدلون قولاً غير الذي سمعوه وعقلوه... وهو أمر ورثوه من آبائهم وتعبدوا به.. وراحوا يلتزمون روايات مختلفة أو ضعيفة للوصول إلى

أهدافهم في تقويض فضائلك وإلغاء أو تهميش دورك وموافقك الرسالية...
فبعيداً عن كل هذا، نشير إلى بعض تلك الآيات:

● ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)

هناك حيث راح عليٌّ عليه السلام يؤدي صلاته، إذ جاءه سائل يطلب شيئاً، فما كان من الإمام عليه السلام وهو في ركوعه وقد أوجع السائل قلبه، إلا أن مد إليه يده متصدقاً بخاتم كان في إصبعه.

«وقد ذكرت روايات يقوي بعضها بعضاً - وهذا القول للدكتور وهبة الزحيلي - أمّا نزلت في علي بن أبي طالب، الذي سأله السائل وهو راكع في تطوع، فتصدّق عليه بخاتمه...»^(٢)

الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس أنه قال:

أقبل عبدالله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا، فقالوا: يا رسول الله، إن منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدّث، وإن قومنا لما رأونا آمنّا بالله ورسوله وصدّقناه، رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا، ولا يناكحونا ولا يكلمونا، فشقّ ذلك علينا. فقال لهم النبي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فنظر سائلاً، فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟

قال: نعم خاتم من ذهب [فضّة].

قال: من أعطاكه؟

قال: ذلك القائم، وأوماً بيده إلى علي بن أبي طالب.

فقال: علي أيّ حال أعطاك؟

قال: أعطاني وهو راعع .

فكبر النبي ﷺ ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣) .

وفي هذا يقول حسان بن ثابت :

أبا حَسَنٍ تفديك نفسي ومهجتي وكلّ بطيءٍ في الهدى ومُسارعٍ
فأنت الذي أعطيت إذ كنتَ راععاً فدتك نفوس الخلق يا خير راعع
بخاتمك الميمون يا خير سيد ويا خير شارٍ ثمَّ يا خير بايع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرايع

وهناك مصادر كثيرة من الفريقين أكدت هذا المورد لهذه الآية المباركة (٤) .

● ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ﴾ (٥) .

قد ينتهي الجدال إلى باب أو طريق مسدود، فيقف كلا الطرفين متمسكاً بما عنده، وهنا قد يبادر أحدهما حرصاً منه على الثمرة، فيعلن شيئاً - بعيداً عن أدلة كل منهما؛ لأنّ الحجج والأدلة لم تؤدِ إلى نتيجة - يحسم ذلك النزاع، وهو ما فعله رسول الله ﷺ - المتيقن للحقّ الذي بين يديه - في نقاشه الحاد مع نصارى نجران، الذين راحوا يتمسكون بباطلهم، وحتى يكشف القناع عن وجوههم وعنادهم، فدعاهم إلى المباهلة بأن يدعو كل فريق أحباءه الخالص، ثم يدعو الله تعالى أن يصبّ لعنته وغضبه على الكاذب منها وأن يطرده من رحمته .

الواحد في أسباب النزول عن جابر بن عبد الله أنّه قال: قدم وفد أهل نجران على النبي ﷺ: العاقب والسيد، فدعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا قبلك،

قال: كذبتما، إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام، فقالا: هات أنبئنا، قال: حبّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير [وفي رواية أخرى عن الحسن أنه ﷺ قال لهما: كذبتما يمنعكما من الإسلام [ثلاث]: سجودكما للصليب، وقولكما: اتخذ الله ولداً، وشربكما الخمر، فقالا: ما تقول في عيسى؟

قال: فسكت النبي ﷺ ونزل القرآن: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾. فدعاهما رسول الله ﷺ إلى الملاعنة، فوعدها إلى الملاعنة على أن يغادياها بالغداة، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة، وبيد الحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا، فأقرأ له بالخراج، فقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي ناراً».

قال جابر: فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.

قال الشعبي: أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦).

وفي الكشف... فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة (٧).

ولما سئل أبو عبد الرحمن محمد بن عائشة عن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ، راح يعدد أصحاب رسول الله ﷺ فقال: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح.

فقال له السائل: فأين علي بن أبي طالب ﷺ؟

قال: يا هذا! تستفتي عن أصحابه أم عن نفسه؟

قال: بل عن أصحابه.

قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فكيف يكون أصحابه مثل نفسه؟! (٨) وهناك مصادر أخرى (٩).

● ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (١٠).
إن مسألة طهارة (الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام) أمر متفق عليه عند جميع المسلمين، بل حتى عند أعدائهم يعدّ أمراً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا شكّ يعتريه، وأمامك التاريخ والتراجم، فلا تجد شخصاً إلا ويقول بتزكيتهم وطهارتهم بل لم يذكر لنا التاريخ عيباً فيهم أو خطأ ارتكبه أو شططاً وقعوا فيه فيما كثرت زلات غيرهم وعظمت أخطاؤهم ومعاصيهم سواء أكانوا رجالاً أو نساء... فسيرتهم عليهم السلام سالحة، ونفوسهم طاهرة، وحياتهم مباركة... نعم اختلفوا معهم، ناصبوهم العدا، ثاروا عليهم، تمردوا عليهم، افتروا عليهم... ولكن لا شك في طهارتهم وإمّا هي الدنيا ومطامعها و«إنّه الملك لو نازعتني عليه لأخذت الذي فيه عينك» (١١).
ثم إن عدل القرآن كالقرآن في طهارته وصفائه: «...إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي...».

فقد راح رسول الله صلى الله عليه وآله يعدّهم ليكونوا منهللاً عذباً تنتهل منه الأمة، ومصدر خير وعطاء للناس ومنبع تبليغ لدين الله وأحكامه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، ومرجعاً للأمة تعود إليهم دائماً في تلقي الأحكام وفي اتخاذ المواقف... فلا بدّ من أن يكونوا عليهم السلام على درجة عالية من تزكية النفوس وطهارتها وعلى يقين وبصيرة بدين الله وسنة نبيه الأكرم، فطهارتهم وبالتالي عصمتهم هبة إلهية اختصّهم بها الله تعالى دون الآخرين. وكانت أمّ المؤمنين أمّ سلمة تتمنى أن تكون من أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا في بيتها مجتمعين تحت كساء واحد.

فقد جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين تحت كساء واحد وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.» فتقول أم سلمة لرسول الله ﷺ: فأنا معهم يا نبي الله؟! فيقول لها: «أنتِ علي مكانك، وأنتِ علي خير.»

انظر الواحدي في أسباب النزول: بسنده عن أم سلمة: أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأنته فاطمة رضي الله عنها بمرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو علي منامة له، وكان تحته كساء خيري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.»

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي [وحاميتي] فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير إنك إلى خير، ونقل أيضاً عن أبي سعيد أن هذه الآية «نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين» (١٢). وأنظر غيره من المصادر (١٣).

● «أَقْمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (١٤).

الطبري في تفسيره عن عطاء بن يسار؛ نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب ؑ والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بين الوليد وبين علي ؑ كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأرد منك للكتيبة. فقال علي ؑ: اسكت، فإنك فاسق.

فأنزل الله فيها: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

وقال ابن عباس وغيره من المفسرين: يعني بالمؤمن علياً وبالفاسق الوليد ابن عقبة^(١٥).

وختاماً لهذا الإيجاز نقول: إن هذه بعض الآيات التي حظي علياً إمامها كاملة وإماماً بنصيب وافر منها فعن حلية الأولياء أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل الله آية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَّا وَعَلِيٌّ رَأْسُهَا وَأَمِيرُهَا»^(١٦).

وعن عبدالله بن عباس أنه قال: «ليس من آية في القرآن فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَّا وَعَلِيٌّ رَأْسُهَا وَأَمِيرُهَا وَشَرِيفُهَا، [وعن حذيفة بن اليمان... إِلَّا وَكَانَ لِعَلِيِّ لِبِهَا وَلِبَائِهَا. كَمَا فِي شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ ١: ٦٣، ٦٧] وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا ذَكَرَ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ»^(١٧).

وعنه أيضاً: «ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي»^(١٨).

الهوامش :

- (١) المائة: ٥٥.
- (٢) التفسير المنير ٦: ٢٣٢.
- (٣) المائة: ٥٦؛ أسباب نزول القرآن: ٢٠٢.
- (٤) شواهد التنزيل ١: ٢٢٣، ٢٣١، الدر المنثور ٣: ١٠٥، تفسير الطبري ٤: الجزء السادس، ٢٨٩، سبط بن الجوزي في تذكروته وتفسير بن كثير ٣: ١٣٠ وتفسير الفخر الرازي ١٢: ٢٨، تذكرة الخواص ١٥، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٥٧، المعجم الوسيط ٦: ٢١٨، ٦٢٣٢ والخوارزمي في مناقبه: ١٨٦ ونص عليه الحافظ البلخي الحنفي في بناييعه... إضافة إلى مصادر الإمامية.
- (٥) آل عمران: ٦١.
- (٦) أسباب النزول: ١٠٨.
- (٧) الكشاف ١: ١٩٣.
- (٨) أنظر المحاسن والمساوي: ٤٢.

- (٩) الفخر الرازي ٨ : ٨٨، تفسير الطبري ٣ : ٣٠٠، تذكرة الخواص : ١٤، الصواعق المحرقة : ١٤٥، ١٥٥، التفسير المنير ٣ : ٢٤٨، دلائل النبوة لابن نعيم : ٣٥٤، ٣٤٤، تفسير ابن كثير ٢ : ٤٥، شواهد التنزيل ١ : ١٦٣، ١٧٣، الدر المنثور ٢ : ٢٣١... ومصادر الإمامية .
- (١٠) الأحزاب : ٣٣ .
- (١١) من كلام هارون الرشيد لابنه المأمون .
- (١٢) أسباب نزول القرآن : ٣٦٨ - ٣٦٩ .
- (١٣) ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور، والترمذي في تفسيره والحاكم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة .. وقد صححه ووافقه الذهبي، وغيرها من كتب التفسير والحديث والتاريخ كالاستيعاب وأسد الغابة... إضافة إلى روايات الإمامية .
- (١٤) السجدة : ١٨ .
- (١٥) تفسير الطبري ١١، الجزء ٢١ : ١٠٧، وأنساب الأشراف ٢ : ٣٨٠ وتاريخ بغداد ١٣، ٣٢١، ٧١٩١، الأغاني ٥ : ١٥٣، فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦١١، ١٠٤٣ تاريخ دمشق ٦٣ : ٢٣٥ ...
- (١٦) حلية الأولياء ١ : ٦٤ .
- (١٧) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦٥٤، ١١١٤، المعجم الكبير ١١ : ٢١١، ١١٦٨٧ تاريخ دمشق، ترجمة علي عليه السلام . تاريخ الخلفاء : ٢٠٣ شواهد التنزيل ١ : ٦٤، ٧٠... ومصادر الإمامية .
- (١٨) شواهد التنزيل ١ : ٥٢، ٤٩ وتاريخ الخلفاء : ٢٠٣ .